كلمة الأستاذ

محمد بهجة الأثري

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للأدب العربي عام 1406هـ / 1986م

الأحد 1406/6/28هـ الموافق 1986/3/9م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على من أدبه ربه فأحسن تأديبه: خيرة خلقه ومصطفاه/ وخاتم رسله إلى الناس كافة محمد بن عبد الله.

صاحب الجلالة، خادم الحرمين الشريفين، ورائد التوحيد والوحدة

أصحاب السمو الأمراء الأجلاء

أصحاب الفضل، قادة الفكر: علماء الملة، وأدباء الأمة

سلام، وروح، وريحان

سلام من الله.. يتأرج بذكى الشذا، ويندي بمثل طل السحر على أوراق الورد ودريق الشجر.

وروح من أرض الفراتين والزابين والشط.. من العراق الشقيق الأشم، وطن الحضارات والبطولات والعز والشموخ، يراوح ويغادي جزيرة العرب: ديار النبوة، ومنازل الوحي، ومسارح الفصحى والأدب، ومباءات الشمم والشيم والكرم.

وريحان غض نضير شميم من جنات بغداد مدينة السلام، ينث العرف ويطيب وشائج القربى بأطيب ما تعسله المودات الصافية في الله والله من حلاوات التواصل والتناصر والتآزر والإعزاز.

سلام، وروح، وريحان.. ما تعاقب النيران، وتجدد الجديران.

أما بعد:

فإن كل مقام له قدره وقدره. وهذا مقام كريم وعظيم، يتبوأ من التاريخ العربي الإسلامي الحديث قنته، ويستعلن فيه عنوانا وضاءً في أوج خوالد أحداثه الإنسانية الرفيعة.

وإن مجال القول في منشئه ومنشئه، وفي غايته وهدفه، لذو سعة. ولكن مقتضى الحال يدعو إلى تضييقه وحصره، ورد كل مقصد منه إلى الاقتضاب. وفي الاقتضاب إخلال بشأنه العظيم، وفيه حرج، وكلاهما مستوبًا وخيم، ولا مخلص منهما إلا بهذا الشعر.. ديوان العرب، فإن لمحاته كفيلة بالوفاء بحقه وبحفظه وتخليده، وإيماءاته تقوم فيه مقام البسط والتفصيل وتغني إذا صدق القول، وسدد الهدف، وجود البيان.

ولهذا وألت إليه، فاستصفيته لهذا الموقف العظيم لسانًا يؤدي عني ما يختلج في جناني من الأحاسيس نحوه، ويعطي معانيه حقها من الإفصاح في صدق وصفاء، وهو –والله يعلم ما تخفي الصدور– لسان (حسان) في الإسلام، ولسان (حسان) لسان العقيدة والإيمان، ينطق بالحق، ويتعلق بالمثل الحسان. وعسى أن يتحقق مني في هذا التسجيل الشعري بعض الوفاء لهذا التكريم: كرم به (الأدب العربي) في خاص جهادي فيه، مقابلة للفضل بمثله من التقدير والشكران لأهله العظماء، لو أن فضلهم يجزيه شكران، ولو أن سواطع البيان قادرة على الأداء عن خوالج ضمير هذا العاجز وخوافق جنانه.

أخفض الطرف دون زهر حسانه

واحفظ اللحظ من سنا لمعانه

من شعاع الضحى توقد نورًا

ما تناهى من زهوه وازديانه

محفل.. بالجلال قد حفه العر

ش، وأغلى الأقداس في طيلسانه

من صنيع الملوك زاهره النضـ

ر، وزاهي الرواء في فينانه

قام في سرّة (الرياض)، ودوّى

في نواحي الدنيا صدى إرنانه

جاب من مشرق البلاد إلى الغر

ب بطاح الثرى وشم رعانه[1]

نظموه.. لا للبهارج والبذ

خ، وزهو السلطان في غنياته

ذاك لون خبا، وللدهر ألوا

ن صنوف، والخلق من ألوانه

حصف العقل، فاغتدى يقدر العلـ

م لآلائه وعلياء شانه[2]

عدة الملك والحياة، وكل

في ضمان الإله ثم ضمانه

إن صرح (الإسلام) قام على العلـ

م، ومن وحيه ذرا بنيانه

صعدا في تألق، وانبساطا

من شروق السنا إلى معربانه[3]

كانت (إقرأ)[4]، ويا لها من وصاة!

---

[1] الرعان: جمع الرعن، بفتح فسكون، وهو الأنف العظيم من الجبل نراه متقدما.

[2] حصف العقل: استحكم، وجاد رأيه.

[3] مغربان الشمس: حيث تغرب.

[4] سورة إقرأ: أول ما نزل من الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يتحنث في جبل حراء.

بدء آي التنزيل من (قرآنه)

لفظه.. فتحت نهى غمها الجهـ

ـل، فأجلت بها ركام عثانه[5]

فمضت تبدع العلوم أفانيـ

ـن كمد الآتي في طوفانه[6]

أوعبت عالم الحياة، وأوعت

ما توارى وما بدا من عيانه[7]

دع خرافات ما يوشى ويحكى

عن نفاذ الأفكار من عجمانه

من أساطير (دبشليم) و(ماني)

أو تناغي (هومير) عن (يونانه)[8]

لألأ الفجر من (حراء)، وعمت

ساطعات الأنوار من (فرقانه)[9]

أين من بارقاتها ظلمات

في هراء السفساف من كهانه؟

صغر السخف أن ينشئ دنيا

---

[5] العثان: الدخان، و الغبار.

[6] الأتي: السيل يأتي من بعيد.

[7] أوعب الشيء: أخذه أجمع، وأوعت: وعت وحفظت.

[8] دبشليم: كناية عن الهند، وهو المذكور في كليلة ودمنة. وماني: كناية عن الفرس، وتنسب إليه المانوية. وهومير: هو هوميروس الشاعر اليوناني صاحب الإلياذة.

[9] حراء: جبل من جبال مكة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه.

أو يقيم الحياة من اوثانه

* * *

دولة العلم، للمالك ردء

لا كيان يقوم دون كيانه[10]

من يعطل قواه يحرم مناه

وشقاء الجهول من حرمانه

وأولو العلم هو أولو الحكم في الأر

ض جميعا ومالكو صولجانه

إن سلطانهم على الخلق ماض

بسطاه ونافذات افتنانه

من ينم يغد للصوالج طوعا

كرة اللاعبين في ميدانه[11]

وإذا لم يغالب القوم بالعل

م، علاه الهوان كل زمانه

نحن في مطمح العيون، وما أن

يفتدينا منهم سوى اتقانه

يفتح الجهل للقوي طريقا

[10] الردء: المعين والناصر.

[11] الصوالج: جمع الصولجان، وهو عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة.

لاستلاب الضعيف في أوطانه

* * *

محفل.. راعت المهابة فيه

فوق زهو البهاء في أزيانه

شرف الصدر منه أي مليك

عز في ملكه وفي سلطانه

البهاليل حوله من ذويه

وأولو العلم من شهود عيانه[12]

مثلما البدر في السماء استدارت

حوله هالة لدى اضحيانه[13]

راعيًا، والعظيم من يحفل الشأ

ن، ويلقى عليه من وهجانه

في جلال من التواضع عالٍ

كبر (كسرى) والزهو في (إيوانه)

* * *

قارن السعد بيت (آل سعود)

[12] البهاليل: جمع البهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير.
[13] قمر أضحيان: مضيء.

فتعالوا إلى نواصي عنانه[14]

حالف النصر صقرهم مذ تسامى

لارتجاع الحقوق في عنفوانه[15]

إن (عبد العزيز).. قد صدق اللـ

ـه، وأمهى من عزمه وسنانه[16]

فتح الفتح، واستطال له الملـ

ـك، وأربى على مدى حسبانه[17]

شاد ما شاد والهدى في نهاه

وهوى العلم في شغاف جنانه[18]

وعلى رسمه الخلائف أجروا

صالحات الأعمال في ميدانه

يعربيون.. يأسر الأدب الحر

هواهم، والعذب من ألحانه

يستعزون منه، والعز فيهم،

بالكريم الأصيل من غرانه[19]

رفعوه على الصعيد رواقًا

---

14 النواصي: جمع الناصية، والعنان، بالفتح: ما يبدو لك من السماء إذا نظرت إليها.
15 عنفوان الشباب: نشاطه وحدته.
16 أمهى السيف: رققه.
17 أربى: زاد.
18 الجنان، بالفتح: القلب، وشغافه: سويداؤه وحبته.
19 الغران: جمع الغرير، وهو الحسن.

من (رباط العلى) إلى (بغدانه)[20]

عربي الشعار.. شارته النبـ

ـل، وقدر النبوغ في إنسانه[21]

يا سقى الله (فيصلًا) كوثر الخلـ

ـد، وبياه فارهات جنانه[22]

المليك الحصيف، والجامع الشمـ

ـل، الرشيد السديد في إيمانه[23]

حفه من حنانه بالمروءا

ت، وألقى عليه درع صيانه

ثقة باليقين في رجحانه

وبجدوى اصطفائه واستنانه[24]

نعمت (يعرب) به و(نزار)

في حياة وغب فوت أوانه

نعمت منه بالجزيل من الطو

ل، وذو الطول خالد بامتنانه[25]

* * *

[20] بغدان: لغة في بغداد.
[21] الشارة: الهيأة.
[22] بياه: بوأه مكانا حسنا. الفاره: الجميل والحسن.
[23] الحصيف: المستحكم العقل، الجيد الرأي.
[24] الاستنان: السلوك.
[25] الطول: بفتح فسكون: الفضل والغنى واليسر.

نالني ما تمد له الأعـ

ـناق مدا، لكسبه واختزانه

من (وسام) من خالص التبر زاه

وفيوض تربى على عقيانه[26]

هو داع لأسوة وتسام،

وتسامى الإنسان من أزكانه[27]

ومتاعى به شرافة معنا

هـ، وأوضاح قدره ومكانه

تتلألأ، على اختلاف الجديدي

ن، كلماح تبره وجمانه[28]

ما لززنا له العتاق المهارى

في جراء السباق يوم رهانه[29]

قد ربانا، وما ازدلفنا بزلفى

لا تنيل أمرًا سوى أهوانه[30]

جاء عفوًا من فضل رأى جميل

---

26 العقيان: الذهب الخالص.

27 الأزكان: العلم والفهم.

28 الجديدان: الليل والنهار. الجمان: اللؤلؤ.

29 لز: شد الشيء بالشيء في قرن. العتاق من الخيل والإبل: النجائب. والمهارى: الإبل النجائب. تسبق الخيل، جمع مهرية، نسبة إلى قبيل مهرة ابن حيدان.

30 ربانا: ترفعنا. ازدلف: دنا وتقدم.

مبكرًا مهطعًا بملء عنانه[31]

ولشتان رائد الغيث لهفًا

ومن الغيث جاءه في معانه[32]

قيل لي: إنه لفضلك رمز،

وأولو الفضل هم أولو عرفانه

أين فضلي؟ فالفضل لله ربي

أن يكن لي فضل فمن إمكانه

زان صدري به المليك حفيا،

سلمت منه ناعمات بنانه[33]

ذاك قدر.. يجل معناه حسا

ويدق البيان دون بيانه

ليت لي من فرائد اللفظ درًا

فأصوغ العقود في شكرانه[34]

إن فرط التكريم من باذخ العز

بصيب الفتى تجبس لسانه

* * *

اصطفائي.. لمنتماي اصطفاء

في هوى وصله وحب احتضانه

---

31 المهطع: المسرع.
32 المعان: بفتح الميم: المباءة والمنزل.
33 الحفي: المحتفل. البنان: أطراف الأصابع.
34 العقود: القلائد.

أحسن الصنع جاهدا ومنيلا

فأنيل الحسنى على إحسانه

(العراق الأشم)، والشمس مرمى

ناظريه ومرتقى هيمانه!

سيف (عدنان) في المشارق عريا

ن، يذود الغزاة عن أوطانه[35]

العلى والشموخ في قبضتيه

وشرود المنى بكف ارتهانه[36]

معدن المجد والحضارة والعـ

ـم قديما وفي حديث زمانه

يعمل النص للذرا غير وان

وهو في الروع مثله في أمانه[37]

بيدي يعربية ينتضي السيـ

ـف.. يذب اللجوج في عدوانه[38]

في شموخ من الأصالة يزهى

ويذيق البغاة وخز طعانه

وتشيد الأخرى، وتبتدر الغر

---

35 عريان: مندلق من الغمد للذود.
36 الارتهان: الحبس.
37 الأعمال: التحريك، والنص: الاستحثان الشديد. والروع: الحرب.
38 ينتضي السيف: يخرجه من غمده.

س أوان القتال في معمعانه[39]

يصنع العتق والنجابة ما لا

يصنع السحر من رقي شيطانه[40]

قف تأمل شموخه كيف سامى

قنة الطود وانتصاب لبانه[41]

عركته الضروس عامًا فعامًا

فتحدى عرانها بعرانه[42]

لم تلن عوده، ولكن حبته

شدة في مضائه وارانه[43]

صبر النفس للعتو طويلا

ولحر النيران من أضغانه[44]

اصطلاه، والتبر يزداد لمحا

وصفاء بالنار عند امتحانه

شمم (ابن الحسين) قام حديا

ه وأربى الرجحان في ميزانه[45]

في انتصاب الصعاد للحادث المر

---

39 المعمعان: شدة الحر.
40 العتق: كرم الأصل.
41 اللبان: بالفتح: الصدر.
42 العران: القتال. والضروس: الحرب الشديدة المهلكة.
43 الأران: النشاط.
44 العتو: الاستكبار وتجاوز الحد. والأضغان: الأحقاد الشديدة.
45 الحديا: المنازعة والمباراة والمعارضة.

ر، وحد الصمصام في ايهانه[46]

تتنزى حوباؤه نخوات

ما استجاش العتو في غليانه[47]

يقمع الجامحين بالطعنة البكـ

ر، ويمحو اضطغانهم باضطغانه[48]

عيي الأحمسون ان يغمزوا منـ

ـه قناة، أو من شوى فرسانه[49]

كلما سعروا اللظى زاد وقدًا

فوق نيرانهم لظى نيرانه!

شرف الحر أن يبادى بالشر

ر، ولولا حفاظه لم يعانه

هكذا أنفس الأعاريب تعلو

في اشتداد الزمان أو في ليانه

ولمن يحسن الفعال، له منـ

ـه عليه شواهد من علانه[50]

---

46 الصعاد: القنا.

47 تتنزى: تتوثب. الحوباء: النفس.

48 طعنة بكر: لا مثيل لها. والاضطفان: الانطواء على الحقد.

49 الأحمس: الصلب المشتد. غمز منه قناته: عضها وعصرها. والشوى: أطراف الجسم.

50 العلان: المعالنة والمجاهرة.

هن في الدهر ألسن مثنيات

كلسان القريض من (حسانه)[51]

* * *

طال عصر العتاة، واتصل البغـ

ـي، وضاق الخناق من أعوانه

كلما زال عاصف منه عات

جاء أعتى فزاد في بحرانه[52]

إن هذا أوان أن نفعل الفعـ

ـل، ونطغى به على طغيانه

أمة حرة الحياة لقاحا

ما تمادى الزمان في دورانه[53]

تتحدى الغزاة صفا رصيصا

أفرغ الصلب في قوى جدرانه

يفرق الأحمسون منه رواعا

وتحيد الكماة عن لقيانه[54]

ليس منها من يصنع الخلف خبا

---

51 حسان بن ثابت الأنصاري: شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

52 البحران: التغير الذي يحدث للعليل فجأة في المراض الحادة.

53 لقحت الحرب: هاجت، وقوم لقاح: لم يدينوا للملوك، ولم يملكوا.

54 يفرق: يجزع ويشتد خوفه. والرواع: الفزع. والكماة: الشجعان المقدامون.

ويشق العصا على إخوانه[55]

عشش الشر في حشاه، وباضت

فجرات الشيطان في وجدانه

فرمى خلف ظهره العقل والخل

ق، وألغى الحياء من أخدانه[56]

يعقد الحلف والشياطين جهرًا

ويعين العدا على خلصانه[57]

ما نرى.. يذهل الحلوم، فتأسى

حزنا من جراحه وحرانه[58]

عيي الطيبون أن يحسموا الشر

ر، وان يردعوه عن نزوانه

رب! إنا نستروح الأمن من لط

فك، فأمنن بنفحة من حنانه

إننا أمة السلام، ومنا

هبت الناسمات من تحنانه

قد غرسنا ريحانه فتزكى

ونعشنا الأنام من ريعانه

---

55 الخب: الخداع والغش.
56 الأخذان: الأصدقاء.
57 الخلصان: الخالص من الأخذان، يستوس فيه الواحد والجمع.
58 تأسى: تحزن. الحران: وقوف الدابة حين طلب جريها، ورجوعها القهقري.

ووقفنا من دونه نزع البغـ

ـي، ليكفي السموم من أفعوانه[59]

ليس أحلى في أنفس الشرفاء الـ

ـعرق منه ومن شذا ريحانه

فسلاما على السلام، ووريا

لعزوف عن روحه وأمانه[60]

ذا مقام الأسماع.. والشاعر الحر

ـر يؤدي عن قومه ببيانه

همهم في فؤاده، وروّاهم

في نهاه، وسيفهم في لسانه

ولقد صاح صيحة الحق صدقا

مثل صدق الأذين عند أذانه[61]

فلتصخ في عوالم الأرض آذا

ن، البرايا إلى صدى إعلانه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

59 نزع: نكف ونمنع.
60 الورى: قيح يكون في الجوف.
61 الأذين: المؤذن للصلاة.